مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الأداء اللغوي لتلاميذ مرحلتي التعليم المتوسط والثانوي في الجزائر من منظور المقاربة السوسيو– ألسنية

The linguistic performance of middle and secondary school students in Algeria from the perspective of a sociolinguistic approach

عبد السلام قدادرة

المدرسة العليا للأساتذة، آسية جبّار، قسنطينة، الجزائر

abdeslemkedadra@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/04/13 تاريخ القبول: 2025/08/08 تاريخ النشر: 2025/09/30

الملخص:

تتخذ هذه الدراسة من لغة المتعلّمين في مرحلتي التعليم المتوسّط والثانوي في منطقة" قسنطينة" موضوعا لها، وتتأسس على إشكالية رئيسة هي: ما مدى تمكّن متعلمي اللغة العربية في هذه المرحلة من النسق الفصيح في أدائهم الشفوي والكتابي؟ وما هو تأثير المحيط اللغوي في ممارستهم اللغوية ؟ وتترتب عن هذه الإشكالية تساؤلات أخرى حول مسار الدراسات العلمية والأكاديمية التي سلّطت الضوء على الواقع اللغوي في الجزائر وحيثياته السوسيوـــــــ ألسنية، ومدى تحقيقها لتوصيف كاف للواقع اللغوي في الجزائر بمختلف مكوّناته ، وكيفية الإفادة من هذه الخطاطة الوصفية في دراسة لغة المتمدرسين ومستوى أدائهم للنسق الفصيح ، حيث تكشف الدراسة وفق هذا المنهج عن واقع التداخل اللغوي في لغة المتمدرسين في مستوياته المختلفة كانعكاس لتعدد العناصر الفاعلة في الواقع اللغوي الذي يتجاذبه النسق العربي الفصيح والدارج، والأمازيغية، واللغات الأجنبية.

الكلمات المفتاحية:

لغة، أداء، سوسيو– ألسنية، محيط، تداخل.

***Abstract*:**

This study takes the language of learners in the midle and secondary stages in the Constantine region as a subject, and is based on a main problem: To what extent do learners of the Arabic language at this stage master the eloquent style in their oral and written performance? And what is the influence of the linguistic environment on their linguistic practice?

This problem raises other questions about the course of scientific and academic studies that have shed light on the linguistique reality in Algeria and its socio-linguistic aspects, and the extent to which they have achieved an adequate description of the linguistic reality in Algeria with its various components, and how to benefit from this descriptive plan in studying the language of students and their level of performance of the eloquent system.

***Keywords*:**

language; performance; sociolinguistics; environment; interference.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

ينصبّ الاهتمام الأول للمختصين في ميدان تعليمية اللّغة حول إتاحة أفضل سبل التفاعل بين عناصر المثلث التعليمي (المعلم ، المتعلم ، المعرفة اللغوية)، فمعلمو اللغة اليوم لا يحتاجون إلى كفاية وصف وتحليل مستويات اللغة المراد تعليمها فحسب إنهم في حاجة أمسّ إلى كفاية تحليل الواقع السيكو–لغوي والسوسيو– لغوي للمتعلم من أجل الوصول إلى تحقيق التلاؤم المنشود بين هذا الواقع وما يُنتقى من مادة لغوية وما يُختار من سبل لتعليمها.

ويثير بحث مسألة الأداء اللّغوي في أقسام تعليم اللّغة العربية تساؤلا رئيسا حول مدى اهتمام الدراسات الأكاديمية في الجامعة الجزائرية بالواقع اللغوي في الجزائر، ومدى تأثير هذا البحث في الممارسات التعليمية.

إن الدراسة الميدانية لعيّنات شفوية وكتابية من اللغة العربية التي يوظّفها تلاميذ المدارس المتوسطة والثانوية يكشف عن حقيقة "التداخل [1] اللغوي في مستويات مختلفة (الصوتي، الصرفي ، المعجمي، التركيبي) وهو ما تقرّه الدراسات السوسيو ـــــــ ألسنية المنجزة حتى الآن حول الواقع اللّغوي في الجزائر. ونحاول من خلال هذه الدراسة إماطة اللثام عن بعض جوانب هذه الحقيقة من خلال التقصّي الميداني الذي أستند فيه إلى مجموعة من البحوث الميدانية التي أشرفت على إنجازها مع طلبة المدرسة العليا للأستاذة بقسنطينة والتي جعلت من لغة تلاميذ المدارس المتوسطة والثانويات بمنطقة قسنطينة عيّنة للبحث.

2. اللسانيات وتعليم اللغة:

أضحت مسألة تعليم اللغة في عصرنا هذا محور اهتمام الدول والهيئات والمؤسسات المتخصصة في إطار ما يصطلح عليه بتعليمية اللغة ، فقد عرفت نشأتها في أحضان الحركة البحثية الأكاديمية في الجامعات الإنجليزية والأمريكية، فبدأت أوّل ما بدأت متصلة بميدان اللسانيات التطبيقية خادمة له مستهدفة تطبيق حصيلته المعرفية فيما يتصل باللغة ووصف طبيعتها ونظامها وآليات اكتسابها، ثم استقلت بعد ذلك كمجال قائم يتوخّى بلورة الاستراتيجيات والطرائق الأكثر نجاعة في تيسير التعلّم اللغوي، وتذليل الصعوبات والمشكلات التي تحول دون تحقيقه على نحو سليم وفعّال.[2] يوظّف ما جادت به العلوم والاختصاصات الحافة كعلم النفس والعلوم اللغوية والتربوية والعلوم البيولوجية والفيزيولوجية.

1.2 حقائق جديدة:

هناك جملة من الحقائق كشفت عنها العلوم الحديثة حول طبيعة اللغة وآليات اكتسابها دعت المختصين في تعليم اللغة للناطقين ولغير الناطقين بها إلى تكييف نظرتهم إلى اللغة وكيفية تعليمها[3]؛ ففي الجانب النفسي التربوي أضحت المناهج الدراسية تنبني على جملة من الحقائق والمعطيات النابعة من نظرة جديدة لدور المتعلّم كعنصر محوري في العملية التعليمية التعلّمية ، فصارت مسألة مراعاة ميوله واستعداداته وحاجاته الأساسية من الأوليات التي

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

يتأسس عليها اختيار البيداغوجيات والمخططات والموارد التعلّمية، وصار الهدف المتوخى في المقام الأوّل هو تطوير قدرات ومهارات هذا المتعلّم وتحقيق قدرته عل التأقلم مع محيطه.[4]

أما في الجانب اللساني فقد استثمرت خلاصة البحوث الحديثة المتصلة بطبيعة اللغة ووظائفها وكيفية اكتسابها في تكييف طرائق وغايات تعليمها، فأضحت وظيفية اللغة أو ما تؤديه من دور في تحقيق الحاجات التواصلية للناطقين بها محط اهتمام المنظرين وواضعي المقررات الدراسية، فالتربية الحديثة على حد تعبير "جون ديوي" (j.dewey)[5] " تعتمد على حاجات الطفل... والأشياء المهمة بالنسبة إليه هي ما يشكّل معينا على تحقيق الحاجات أو معيقا دونه"[6]

ولعل من أهمّ الحقائق التي كشفت عنها البحوث والدراسات اللسانية، وأضحت بمثابة معطيات أساسية لا يمكن تجاوزها في إعداد المقررات الدراسية لتعليم اللغات، واختيار الطرائق والبيداغوجيات المناسبة، تلك المبادئ الجوهرية التي أضحت بمثابة المسلمات في مجال البحث المتصل بطبيعة اللغة وآليات اكتسابها ووظائفها ومهاراتها.

2.2 مبادئ ومسلّمات:

تتلخص هذه المبادئ فيما يأتي:[7]

أ– ضرورة الوقوف عند التمييز بين نظامي اللغة المنطوق والمكتوب، فهما– وإن ظهرا متطابقين– يتميزان بآليات وقواعد تخص كلا منهما، ولئن كانت الدراسات اللغوية والمناهج التعليمية السابقة أعطت الأفضلية للغة المكتوبة، فإن الجانب الشفوي واللغة المنطوقة في خضم المناهج الحديثة صار يحظى بالأولوية في الدراسة والتعليم.

ب– التركيز على أهمية الدور التواصلي للغة، فهي وسيلة للتواصل، ولذلك أضحى اكتساب المتعلم مهارة استخدام اللغة في إطار التواصل، واندماجه في الوسط اللغوي هدفا أساسا للعملية التعليمية.[8].

ج– عملية الأداء اللغوي وفق التوجه اللغوي الحديث هي عملية متكاملة تتضافر مجموعة من العوامل لتحقيقها: منها ما يتعلق بالجانب العضوي الفيزيولوجي المتمثل في وظيفة الجهاز النطقي السمعي ، بالإضافة إلى عناصر الموقف الكلامي، وملابساته السياقية .

د– لكل لغة من اللغات الإنسانية نظامها الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي الذي يميّزها عن غيرها من اللغات، وهو نظام قائم بذاته تسعى العملية التعليمية إلى ترسيخه في لأذهان المتعلمين، من دون الحاجة إلى اتخاذ أنظمة لغوية أخرى وسيطة، وهو ما يعني إلغاء النظرة التفاضلية بين اللغات من حيث خصائصها.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

3.اللسانيات ودراسة الواقع اللّغوي:

اللّغة ظاهرة اجتماعية بامتياز، وبالرغم من تأثير العوامل الفيزيائية والعضوية والنفسية والذهنية ودورها في إنتاج البنيات الأساسية لأي فعل تصويتي ذي نية تواصلية فإن المكون الاجتماعي يبقي السمة التمييزية المهيمنة، ولذلك فإن أي محاولة لفهم هذه الظاهرة لا يستغني عن فهم الواقع والعوامل المحيطة بها، وكل دراسة تتم بمعزل عن هذه الوقائع تعد ضربا من التجريد اللامتناهي . كثيرا ما فهمت بعض الآراء الحديثة في اللسانيات ومنها آراء "دو سوسير" (De Saussure) بكونها دعوة إلى عزل دراسة اللغة عن كل العوامل الاجتماعية المحيطة بها من خلال ما يعرف بدراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها[9]، ففي ذلك توجيه إلى الاهتمام بالعناصر والعلاقات الداخلية للنظام اللغوي من أجل فهم آليات عمل هذا النظام، ومثاله المشهور عن النظر إلى العناصر والقوانين الداخلية للعبة الشطرنج هو خير بيان لتلك الملاحظة المنهجية، فهل يمكن تفسير ذلك بوجوب التوقف عند حدود مستويات البنية الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية دون الخوض فيما عداها من البنيات الاجتماعية والنفسية للغة؟

إن العودة إلى محاضرات "دو سوسير" تكشف عن فصول تناولت الجانب البيئي والاجتماعي للغة حيث تحدث عن تأثير الجانب الجغرافي في تنوّع اللغات وعن تعايش اللغات، وعن اللغة الأدبية واللسان المحلي، وعن أسباب انتشار اللغات حيث يقول " إن من يباشر مسالة علاقة الظاهرة الألسنية بالمكان يخرج من مجال الألسنية الداخلية ويدخل في مجال الألسنية الخارجية وقد سبق لنا أن أبرزنا مدى اتساع هذه الألسنية ومدى تنوعها."[10]فبالإضافة إلى دراسة مستويات البنية المعروفة في إطار ما يسمى باللسانيات الداخلية يمكن النظر في علاقة اللغة في إطار الألسنية الخارجية ويندرج ضمن هذا المبحث: علاقة اللغة بالمكان والبيئة الاجتماعية، وعلاقتها بالجوانب النفسية والعقلية والعصبية، و ينشأ عن ذلك فروع تطبيقية للبحث اللساني: كاللسانيات الجغرافية، واللسانيات الاجتماعية أو النفسية أو العصبية.

الشكل (1) اللسانيات ودراسة الوقائع

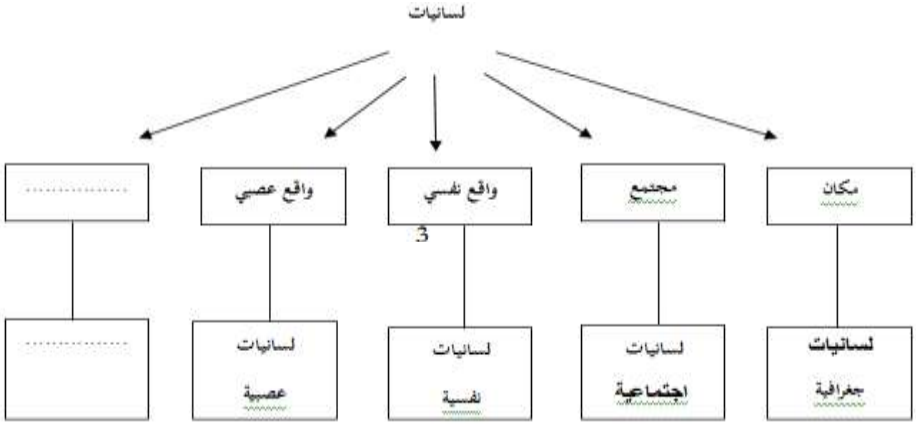

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

إن ظهور اللسانيات الجغرافية واللسانيات الاجتماعية جاء استجابة لأهمية بحث الصلة بين اللغة وخلفياتها الاجتماعية التي تعدّ الوسط الطبيعي لنشأتها واستعمالها وانتشارها وتغيرها . فاللسانيات الجغرافية تبحث في تفاعل اللغات أو اللهجات فيها بينها وتحاول تحديد التخوم ووضع الخرائط اللسانية حيث " يوجد في الواقع عدد من اللهجات يتساوى مع عدد من المجتمعات المستعملة للغة ، بل يتساوي إذا كنا دقيقين مع عدد الأفراد المستعملين لها ، وقد نستطيع أن نطلق اسم اللسانيات الجغرافية على ذلك التميّز الذي يظهر في اللهجات ذات العلاقة مع محليتها الاجتماعية والمكانية في الوقت نفسه" [11] و يظهر أن مهمة وضع الحدود بين اللهجات مهمة يصعب تحقيقها في ظل هذا التعدد المشهود حتى أن الفرد المتكلم يمكنه استعمال لغات أو لهجات مختلفة ، ويصير الحديث عن اللغة بالمفهوم المتداول ضربا من التعميم. أما اللسانيات الاجتماعية فهو مصطلح تستعمله المراجع بشكل أخص من سابقة فهو أكثر ارتباطا باللسانيات التفاعلية و التغييرية وهي تدرس متغيرات اللغة أو اللهجة الواحدة تبعا للوضع الاجتماعي لمتكلميها، وتبحث في كل أشكال التغيرات ذات الأصل الاجتماعي وليس الفردي، فهي تهتم بكل ما يتغير في اللغة وتدرس البناء الاجتماعي لهذا التغير.[12]

4. دراسات لسانية للواقع اللغوي في الجزائر:

لا يمكننا من خلال بحث قصير الوقوف عند كل ما قيل عن الواقع اللّغوي في الجزائر وما يحكمه من اعتبارات جغرافية وتاريخية و اجتماعية بحكم الصلات المختلفة بمناطق المغرب وإفريقية والوطن العربي، وحتى الضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط، بل إنه من غير الممكن أن تكون قد وجدت قديما دراسات متخصصة بحثت المسألة اللّغوية في بلادنا باستثناء ما قد نجده من إشارات في ثنايا كتب التاريخ والفكر والثقافة، فالتاريخ اللّغوي هو لا محالة جزء مهم من الأحداث التي تمر بها الأمم والمجتمعات وعنصر أساس من عناصر ثقافتها .[13] وقد ورد في مقدمة ابن خلدون – في حديثه عن التمازج اللغوي الحاصل في لغة أهل المغرب و إفريقية – قوله: "... فعلى مقدار ما يسمعون من العجم و يربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى، و اعتَبر ذلك في أمصار إفريقية و المغرب والأندلس والمشرق، أما إفريقية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور عمرانها بهم و لم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل فغلبت العجمة فيها عل اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الأول أبعد..."[14]

أما بالنسبة للبحوث والدراسات الحديثة المختصة التي تناولت المسألة اللغوية في الجزائر فهي ـــ في حدود ما اطلعنا عليه ـــ قليلة بالنظر إلى أهمية القضية و خاصة ما كتب منها باللغة العربية. ولعل أهم ما أمكننا الإطلاع عليه في هذا الجانب تلك الدراسة الأكاديمية التي أنجزها الأساتذة "خولـــــة طالب الإبراهيمي" وهي رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة "ستندال" (Standhal) بغرونوبل (Grenoble) بفرنسا سنة 1991م ، ثم صدرت ترجمتها باللغة العربية سنة 2007م بعنوان "الجزائريون و المسألة اللغوية من أجل مقاربة اجتماعية لغوية"[15]

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وقد انطلقت هذه الدراسة من وضع خطاطة وصفية للواقع السوسيو–لغوي في الجزائر الذي تُشكّله ثلاث فعاليات أساسية هي اللغة العربية الفصحى ولهجاتها وعامياتها، والأمازيغية بلهجاتها، بالإضافة إلى اللغات الأجنبية التي تأتي الفرنسية في صدارتها، ويعبر الترتيب المقصود لعناصر هذه الخطاطة عن حجم انتشار هذه الاستعمالات اللغوية حيث:

- تحظى اللغة العربية وعامياتها بنطاق انتشار أوسع باعتبارها اللغة الرسمية ولغة الخطاب السياسي والديني و الثقافي والإعلامي، ويتاح لها هذا الانتشار كذلك من خلال تفاعلها مع الدارجة والعاميات السائدة في الخطاب اليومي، والتي تغطي رقعة واسعة من الخارطة اللغوية. ويُرَدّ هذا الانتشار الواسع إلى عوامل تاريخية و دينية و ثقافية منشأها انتماء المجتمع الجزائري إلى العالم العربي والإسلامي.
- تتضارب الأرقام فيما يخص استعمال الأمازيغية أو البربرية بلهجاتها في عدة مناطق من البلاد أهمها: منطقة جرجرة (القبائلية)، منطقة الأوراس(الشاوية)، منطقة وادي ميزاب(الميزابية)، منطقة الهقار(الترغية).
- تأتي اللغة الفرنسية على رأس ترتيب اللغات الأجنبية من حيث التأثير والاستعمال بحكم تاريخ الوجود الاستعماري وعمله على فرض استعمالها بوسائل مختلفة، ولا يزال توظيف الفرنسية مهيمنا على المجالات الاقتصادية والمالية و بعض وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسموعة، وله تواجد في الميدان العلمي و الثقافي.[16]

وترفض صاحبة هذه الدراسة توظيف ما أسمته بالطرح الكلاسيكي الحاد المتمثل في الثنائية اللغوية لوصف علاقة العربية الفصحى باللهجات، و كذا مصطلح الازدواجية في وصف العلاقة بين العربية والفرنسية أو بين العربية والأمازيغية. و تتبنى بدل ذلك طرحا مرنا تمثل في جانبه الأول في نموذج الاستعمالات التواصلية المتدرجة الموصوفة بالاستمرارية اللغوية، و تجاوز في جانه الثاني مفهوم الازدواجية كتناوب بين لغتين إلى فكرة التداخل، و كذا تخصص كل لغة من اللغتين بمجال أو فضاء استعمال معين.[17]

ونجد إلى جانب هذه الدراسة الأكاديمية المتخصصة بحوثا أخرى قدمت مقاربة للواقع اللغوي في الجزائر غير أنها كانت أقل توسعا وإحاطة وتتبعا لتفاصيل هذه المسألة ومن بين هذه البحوث:

ـــ دراسة لـــ "حفيظة تازروتي" "اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري" حيث خُصّص الفصل الأول في هذه الدراسة للحديث عن المحيط اللّغوي للطفل الجزائري بما في ذلك واقعه السوسيو–لغوي.[18]

ـــ مجموعة مقالات جمعت في مجلة "اللغة الأم" كتبها مجوعة من الأساتذة بجامعة "تيزي وزو" وقدم لها الأستاذ "بلعيد صالح"[19]. وجاء ترتيب المقالات التي تعرضت لقضايا الواقع اللغوي كالأتي:

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الجدول (1) دراسات حول الواقع اللغوي[20]

المقال	المؤلف	الصفحة
اللغة الأم و الواقع اللغوي في الجزائر	صالح بلعيد	03
تعاريف في مصطلح اللغة	زهرة بن أعراب	48
الواقع اللغوي الجزائري	وردية لاصب	63
الازدواجية اللغوية	صونيا بكال	131
التداخل اللغوي	جميلة راجا	146
تخطيط السياسة اللغوية	عمر بورنان	161

ولئن كانت أغلب هذه الدراسات قد اعتمدت الخطاطة الوصفية التي أنجزتها "خولة طاب الإبراهيمي" بمكوناتها المذكورة (العربية، الأمازيغية، اللغة الفرنسية) فإنها اختلفت عنها في اعتمادها المفهوم السائد للثنائية والازدواجية اللغوية. فاعتبرت الأولى–حسب مفهوم "فرغسون"– وضعية لغوية ثابتة نسبيا مكونة من تنوعين، الأول عال يتمثل في اللغة العربية الأدبية والثاني أدنى منه هو اللهجات ،أمّا الثنائية اللغوية فاعتبرت تناوبا في الاستعمال بين لغتين.[21]

ويقترح الأستاذ "صالح بلعيد" ترتيبا مختلفا لعناصر هذه الخطاطة بالنظر إلى نسب انتشار هذه اللغات في الاستعمال، حيث يضع العاميات أو الدارجات في المقام الأول باعتبارها ذات انتشار واسع، وتأتي بعدها الأمازيغية بمختلف لهجاتها، ثم يضع في المرتبة الثالثة ما يسميه باللغات الكلاسيكية المتمثلة في اللغة العربية الفصيحة واللغة الفرنسية. كما يتحدث عما يسميه بالنسق اللغوي الخليط الذي يشكل واقع خطابات المجتمع الجزائري.[22]

وبالرغم مما تحمله هذه البحوث من قيمة علمية باعتبار ما تقدمه لميدان البحث اللغوي الاجتماعي، وبالنظر الى أهمية وحساسية القضية التي عالجتها في ظل غياب معطيات إحصائية ثابتة فإن ثمة جملة من الملاحظات التي تسجل حولها:

ـــ فهي دراسات تتسم بالطابع الفردي وتفتقد إلى سمات المشروع والجهد الجماعي المستند إلى دعم الهيئات العلمية.

ـــ كما أنها تفتقد إلى وجود إحصائيات دقيقة حول الواقع اللغوي الحالي في الجزائر ونسب مستعملي عناصر الخطاطة الوصفية.

ـــ تفتقر أحيانا إلى الوصف الموضوعي المبني على المعطيات الفعلية ويحرّكها الصراع الفئوي أو اللغوي.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ـــ تجاوزتها بعض مستجدات الواقع اللغوي في الجزائر وهو ذو خارطة متغيرة بحكم تغير النظام العالمي وظاهرة العولمة، والبروز القوي للغة للإنجليزية في وسائل الإعلام و المدرسة والإنترنيت واللافتات الإشهارية والمواد الاستهلاكية المختلفة.

وبالرغم من هذه المآخذ فقد استطاعت هذه البحوث رغم طابعها الفردي أن تحقق مقاربة وصفية للواقع اللّغوي في الجزائر،وإنّ ما اتصفت به هذه المقاربة من نقائص لَمدعاة إلى تنظيم الجهود ضمن هيئات علمية تحظى بالدعم الرسمي لكشف كل جوانب وحيثيات المسألة اللّغوية، ووضع الخرائط والإحصائيات الدقيقة، وعلى حد تعبير الأستاذة " خولة طالب الإبراهيمي " فـــــــــإننا نشك اليوم في أن المعطيات والحيثيات التي طرحت في صلب القضية اللغوية قد تغيرت ..." [23] و بالفعل فإنه صار من الضروري تحيين معرفتنا بالواقع اللغوي الجزائري من خلال بحوث ودراسات جديدة تتاح لها أرقى الإمكانيات وأحدث الأدوات لرصد الإحداثيات والمتغيّرات الحالية لهذا الواقع.

5. الأداء اللغوي لتلاميذ مرحلتي التعليم المتوسط و الثانوي وتأثير الواقع السوسيو–ألسني:

إن البحث الميداني الذي يتخذ من لغة المتعلمين في المراحل الدراسية المختلفة عينة لهو السبيل إلى الكشف عن واقع الاستعمالات اللغوية لدى أبنائنا من المتمدرسين باعتبار المدرسة نموذجا مصغرا للمجتمع، فمن خلال دراسة عينات كتابية وشفوية من اللغة التي يتكلّمها ويكتبها تلاميذ المرحلة المتوسطة والثانوية يمكننا الكشف عن جانبين أساسين:

1- تأثير البيئة الاجتماعية على لغة المتعلم الجزائري في مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية .

2- الاستعمالات اللغوية لهؤلاء المتعلمين ومدى تنوعها

تعتمد هذه الدراسة على مجموعة من البحوث التي اقترحتُها و أشرفتُ عليها في إطار مذكرات التخرج لطلبة المدرسة العليا للأساتذة وذلك بهدف التعريف بهذه الجهود العلمية التي غالبا ما تترك في الرفوف و ينظر إليها نظرة انتقاص فيضيع جهد الطالب والأستاذ المشرف معا. فقد اقترحتُ منذ سنة 2006م إلى 2009م على طلبة المدرسة العليا للأساتذة مجموعة من البحوث العلمية ذات الطابع الميداني التعليمي استهدفت دراسة لغة التلميذ في مستوياتها المختلفة وكذا دراسة المادة اللغوية المقدمة له متمثلةَ في النصوص، أما بيان هذه البحوث فهو الآتي:

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الجدول (2) مذكرات تخرّج حول الأداء اللغوي

عنوان البحث	الطالبان المعدّان للبحث	السنة الجامعية
الأداء الصرفي عند تلاميذ السنة الرابعة متوسط	– مرنيز أسماء – بواللوف راوية	2007/2006م
الجملة وبناء الانساق التعبيرية في اللغة العربية	– بلعلى سناء – بلحداد لمياء	2007/2006م
الجملة وبناء الأنساق التعبيرية في نصوص السنة الثانية متوسط	– بلفار فارس – خرامسية حمزة	2008/2007م
بنية النص الشعري في المرحلة الثانوية وأهميتها في التحصيل اللغوي	– برماد أحمد – الساهل كريم	2009/2008م
نظرية الحقول الدلالية وأهميتها التعليمية–دراسة في نصوص السنة الأولى ثانوي	– بلقصير عليمة – بوركاب سامية	2009/2008م

وقد اعتمدت هذه البحوث منهج وصف وإحصاء العينات اللغوية من خلال التعابير الشفوية والكتابية في متوسطات وثانويات مدينة قسنطينة وكذا نصوص الكتب المقررة. وقد أفضت هذه الدراسة إلى الكشف ولو بصفة نسبية عن جملة من الحقائق المتصلة بلغة المتمدرسين منها:

فيما يخص الاستعمالات اللغوية: غلبة استعمال الصيغ والتراكيب الأكثر تداولا في اللغة العربية العصرية الجارية على ألسنة الصحفيين والمنشطين. وهي لغة غالبا ما تبتعد عن الصيغ المتنوعة والجمل المركّبة وتنحح إلى لغة أكثر سهولة، فبالنسبة **للأداء الصرفي** : يغلب استعمال صيغ الأفعال الماضية والمضارعة والمصادر وهي أكثر تداولا في اللغة العادية والدارجة ، ويقلّ استعمال بعض الصيغ المشتقة كأسماء الفاعلين والمفعولين وصيغ المبالغة والتفضيل، وهي أكثر ارتباطا بتراكيب اللغة الأدبية ولغة النصوص فيقول التلميذ مثلا: الطالب كتب الدرس أو يكتبُ الدرس ولا يقول الطالب كاتبُ الدرسِ أو كاتبٌ الدرسَ ويقول: الدراسة مفيدة ولا يقول أن تدرس أفيد. وبالنسبة **للأداء التركيبي:** يغلب استعمال الجمل البسيطة والجمل ذات الفعل المبني للمعلوم والجمل الفعلية و الأساليب الخبرية. وهي تراكيب وإن كانت لها تواترها في الاستعمالات اللغوية بشكل عام فهي أكثر ارتباطا باللغة البسيطة الأقرب إلى التعبير الدارج.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وفيما يخص التداخلات اللغوية يظهر أيضا تأثير النسق الدارج في التعابير الكتابية و الشفوية للمتعلمين من خلال تحليل أخطائهم اللغوية. ففي المستوى الصرفي تظهر بعض أخطاء التصريف مع الضمائر و تصريف بعض الصيغ نحو قولهم: فعلوه بدل أفعلوه (نجزوه بدل أنجزوه) (خبروه بدل أخبروه) (يوصلوا بدل يصلوا)...وفي مستوى التراكيب يظهر التأثر بنظام التطابق الموجود في النسق الدارج كقولهم (خرجوا التلاميذ) بدل (خرج التلاميذ)، أو استعمال الجملة الفعلية و ترتيب عناصر الجملة وفق الترتيب الدارج نحو قولهم: لو الإنسان يكثر الأنس بالخلق يرث التعلق.

والملاحظ أن هؤلاء الدارسين يتأثرون باللغة المتداولة في المجتمع أكثر من تأثرهم بلغة النصوص المقررة في الكتاب المدرسي. حيث أظهرت الدراسة الوصفية الإحصائية للبنيات الصرفية و التركيبية والدلالية للنصوص أنها لا تخلو من التنوع والثراء الذي يخدم التحصيل اللغوي للطالب بما يسمح له من التعبير بلغة أكثر رقيا و تنوعا وأكثر قربا من السلامة اللغوية.

6. الخاتمة:

يأتي التلميذ الجزائري إلى المدرسة و هو يحمل ترسبات لغوية لمجتمع سمة لغته التداخل في جميع المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، ومهما اجتهدنا في إصلاح برامج ومقررات المدرسة فمن الصعب محو أثار هذه الترسبات. و لذلك فإن إصلاح حال لغة المتمدرسين يمر لا محالة بإصلاح لغة المجتمع من خلال اعتماد مخطط لغوي متوازن نسعى من خلاله إلى تحقيق اتفاق حول قدر اكبر من التجانس في الاستعمال اللغوي، والتفكير في الإدماج المبكر لأبنائنا في هذا النظام اللغوي من خلال المؤسسات التحضيرية والبرامج التربوية والإعلامية والتثقيفية الموجهة لهذه الفئة.

7. الهوامش:

[1] يعرّف مصطلح التداخل في التعليمية بأنّه الصعوبات التي يواجهها متعلّم اللغة والأخطاء التي يرتكبها بسبب تأثير نظام لغته الأم أو تأثير نظام لغة أجنبية موازية يكون بصدد تعلّمها، ويمس هذا الــتأثير الجوانب الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية . 'وينظر:

- Robert Galisson, Dictionnaire de la didactique des langues,(France :Hachette,1976, p291. .

[2] ينظر حساني أحمد، **دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات**،2000 م، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،ص130– 131.و كردي عبد العزيز ، في تعليمية العربية،2017م، ط 1، تونس ،مجمّع الأطرش،،ص ص 302–322.

و ينظر كذلك:

- Robert Galisson, D'autre voies pour la didactique des langues étrangères, 1982, Paris: Hatier, pp. 14FF.

[3] الحاج صالح عبد الرحمن ، 1973–1974، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، مجلة اللسانيات، معهد الدراسات اللسانية الجزائر، العدد 4 ، ص 17.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

[4] Robert Galisson., **D'autres voies pour la pour la didactique des langues étrangères**, pp. 14FF

[5] أحد روّاد علم التربية الحديث (1859ـــ 1952).

[6] *«L'éduction se fonde sur les besoins de l'enfant, et les objets intéressants sont pour lui ceux qui constituent des auxiliaires ou des obstacles à la satisfaction des besoins» dans: Robert Galisson, D'autre voies pour la didactique des langues* ***étrangères****, P17.*

[7] ينظر مجموع هذه المبادئ: حساني أحمد ،**دراسات في اللسانيات التطبيقية**. : **حقل تعليمية اللغات**، ص 130.

[8] المرجع نفسه.

[9] دو سوسير فردينان **دروس في الألسنية العامة**، ترجمة صالح القرمادي و محمد الشاوش،1985 ، تونس :الدار العربية للكتاب، ص 27 و ما بعدها.

[10] نفسه، ص285.

[11] ديكرو أوزوالد وجون ماري سشايفر، **القاموس الموسوعي لعلوم اللسان**، تر: منذر عياشي، 2007م، ط2، المغرب، المركز الثقافي العربي،ص 127.

[12] نفسه، ص134.

[13] ينظر: سعدي عثمان ، البربر عرب عاربة، 2018، الجزائر، دار الأمة، ص ص14–28.

[14] ابن خلدون عبد الرحمن ، **المقدمة**،1990م، الطبعة الرابعة، بيروت: مكتبة لبنان، ص559.

[15] خولة طالب الإبراهيمي، **الجزائريون و المسألة اللغوية عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري**، تر: محمد يحياتن (ط1، الجزائر: دار الحكمة، 2007م) .

[16] نفسه ، ص ص 13ـــ36.

[17] نفسه، ص48.

[18] ينظر: تازروتي حفيظة ،**اكتساب اللغة عند الطفل الجزائري**، 2003م، الجزائر، دار القصبة، ص ص 40–46.

[19] بلعيدصالح ومجموعة من المؤلفين بجامعة تيزي وزو، **اللغة الأم**، 2004م، الجزائر:دار هومه.

[20] المرجع نفسه.

[21] ينظر: تازروتي حفيظة ،**اكتساب اللغة عند الطفل الجزائري**، ص40. و ينظر بلعيد صالح ،**اللغة الأم**، ص13.

[22] ينظر بلعيد صالح ،**اللغة الأم**، ص9.

[23] الإبراهيمي خولة طالب ،**الجزائريون و المسألة اللغوية**، ص324.

المجلد: (17)	العدد: (02)	السنة:2025	صفحات المقال: 268– 279	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

8.المصادر والمراجع:

- **باللغة العربية:**

ـــ الإبراهيمي (خولة طالب)،(2007)، **الجزائريون و المسألة اللّغوية عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائر**، تر: يحياتن محمد ط1، الجزائر: دار الحكمة.

ـــ ابن خلدون (عبد الرحمن) ،(1990) **المقدمة**، الطبعة الرابعة، بيروت: مكتبة لبنان.

ـــ بلعيد صالح ومجموعة من المؤلفين بجامعة تيزي وزو، (2004) ،**اللغة الأم** ،الجزائر:دار هومه.

ـــ تازروتي حفيظة ، (2003) ، **كتساب اللغة عند الطفل الجزائري**، الجزائر، دار القصبة.

ـــ الحاج صالح (عبد الرحمن) ، (1973–1974)،" أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية "، **مجلة اللسانيات**، العدد 4 .

ـــ حساني (أحمد) ،(2000) ،**دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات** ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

ـــ ديكرو (أوزوالد) و جون ماري سشايفر،(2007)، **القاموس الموسوعي لعلوم اللسان**، تر: منذر عياشي ،ط2، المغرب:المركز الثقافي العربي.

ـــ دو سوسير (فردينان)، (1985)،**دروس في الألسنية العامة**، ترجمة صالح القرمادي و محمد الشاوش ، تونس :الدار العربية للكتاب،

ـــ كردي عبد العزيز،(2017)، **تعليمية العربية**،ط 1، تونس ،مجمّع الأطرش.

- **باللغة الأجنبية:**

- Robert Glisson, D'autre voies pour la pour la didactique des langues étrangères, (Paris: Hatier, Mai 1982).

- Robert Galisson, Dictionnaire de la didactique des langues,(France :Hachette,1976).